

المِرْعَتِي والصَّحابة الرِّجْرَاجِيَّون؟؟

قراءة نقدية

بدر العمراني

رئيس مركز عقبة بن نافع

للدراستات والأبحاث حول الصحابة والتابعين

نظراً لما اكتسبه الصحابة رضوان الله عليهم من مكانة في قلوب المسلمين، فإن نزولهم أو إقبارهم⁽¹⁾ في بلد من البلاد له شأن كبير، يُحتفى به بإجلال وتعظيم.

والمغاربة لا يقلُّون عن غيرهم في هذا الباب، لذلك احتَفَوا بأحفاد الصحابة الكرام، وأكرموا وفادتهم بينهم، وأما أصحاب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانوا مجرد عابرين أيام الفتح الإسلامي، كالمُتَنَزِّلِ الإفريقي، حَسَبَ نَقْلِ الرُّشَاطِي عن عبد الملك بن حبيب⁽²⁾.

لكنه عُرف في الموروث الشعبي غير هذا من إثبات الصُّحبة لسبعة رجال من رجراجة، وفدوا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّقوا به، ثم رجعوا إلى بلادهم بسوس⁽³⁾. وقد توارث العامة فيما بينهم حكايات لم تَلَقَّ قبولا عند الكثير من أهل العلم؛ كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي الذي أنكر صحبتهم⁽⁴⁾. في حين انتصر للإثبات بعض أهل

(1) كما هو الشأن في معاجم البلدان وتواريخ المدن العلمية، مثل: تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق...

(2) الإصابة 10 / 345.

(3) الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين - ندوة. 1 / 124-125.

(4) السيف المسلول 26.

العلم، منهم الشيخ محمد بن سعيد المرغتي (ت 1089هـ) في جواب له عن سؤال عرض عليه في شأنهم⁽¹⁾، واعتمد عليه من جاء بعده، ونوّه به.

ولما كان هو المعتمد في هذه القضية، آثرت أن أناقش دلائله في هذا المقال، وفقّ المباحث الآتية:

المبحث الأول: المرغتي العَلَم: نظرة تعريفية

المطلب الأول: اسمه ونسبه⁽²⁾

هو محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى السُّوسي المرغتي، يُكنى: أبا عبدالله. من أهل (مرغت) بكسر الميم وسكون الراء والغين معاً والتاء المثناة، وهي قرية تبعد عن مدينة تزنيت بنحو 15 كيلومتراً، وتُعدُّ من قبيلة الاخصاص في سوس.

المطلب الثاني: ولادته⁽³⁾

ولد بقريته (مرغت) من سوس سنة 1007هـ/1598م.

المطلب الثالث: نشأته⁽⁴⁾

نشأ ببلده سوس في كنف بيت يتّصف بالتدبّر والصّلاح على نهج الصوفية، مع تعلّق بالعلم، وهناك تلقى على بعض السّوسيين المبادئ الأولى في التعليم، لكن سرعان ما تآقت نفسه إلى زيارة الحواضر كتّارودانت ومراكش وبلاد الهبّط للأخذ عن شيوخها وأعلام رجالها.

(1) والجواب منه نسخة مخطوطة بخزانة الجامع الأعظم بوزان تحت رقم: 472. وأورده المختار السوسي في المعسول 4/ 12-16.

(2) العوائد المزرية 1/ 43. الأعلام 6/ 139. معلمة المغرب 21/ 7091.

(3) صفوة من انتشر 307. الأعلام 6/ 139.

(4) العوائد المزرية 1/ 43-46. معلمة المغرب 21/ 7091-7092.

المطلب الرابع: شيوخه⁽¹⁾

تلقى رَحْمَةُ اللَّهِ معارفه على عِدَّة شيوخ عبر رحلاته وجولاته في الحواضر العلمية، منهم:

- ✽ أبو عبدالله محمد بن عمران التّواقي (ت. 1031هـ).
- ✽ أبو عبدالله محمد المأمون بن محمد الحُفْصي (ت. 1039هـ).
- ✽ أبو محمد عبدالواحد بن أحمد بن علي الأنصاري عُرِفَ بابن عاشر (1040هـ).
- ✽ أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1040هـ).
- ✽ أبو العباس أحمد السالمي المراكشي (ت. 1040هـ).
- ✽ أبو عبدالله محمد بن أحمد المِكلّاتي المُرَقَّع الفاسي (ت. 1041هـ).
- ✽ أبو محمد عبدالله بن علي بن طاهر الحسني (ت. 1044هـ).
- ✽ أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالرحمن الكلّالي المزياقي (ت. 1047هـ).
- ✽ أبو عبدالله محمد بن يوسف التاملي (ت. 1048هـ).
- ✽ أبو القاسم بن أحمد بن مسعود الهُوَزَالِي (ت. 1048هـ).
- ✽ أبو عبدالله محمد بن أحمد الجنّان الأندلسي (ت. 1050هـ).
- ✽ أبو محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت. 1052هـ).
- ✽ أبو عبدالله محمد بن عطية الزّناقي السّلّوي (ت. 1052هـ).
- ✽ أبو محمد عبدالهادي بن عبدالله الحسني (ت. 1056هـ).
- ✽ أبو القاسم الغول الفُشتالي (ت. 1059هـ).

(1) موسوعة أعلام المغرب: نشر المثاني 4/ 1608. صفوة من انتشر 304-305. فهرس الفهارس 555/2. العوائد المزرية 1/ 55-57. فهارس علماء المغرب 650. معلمة المغرب 21/ 7092.

- أبو زيد عبدالرحمن بن محمد التَّمَنَّاوِي (ت. 1060هـ).
- أبو العباس أحمد بن محمد الوولتي (ت. 1060هـ).
- أبو مهدي عيسى بن عبدالرحمن السَّكْتَانِي (ت. 1062هـ).
- أبو بكر بن يوسف السكتاني (ت. 1063هـ).
- أبو الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي (ت. 1065هـ).
- أبو عبدالله محمد الكفيف المراكشي.
- أبو العباس أحمد بن منصور الدَّرْعِي.
- أبو فراس عبدالعزيز بن سعيد الشَّاطِبِي.
- أبو عبدالله محمد المزوار المراكشي (ت. 1065هـ).
- أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن سُودة المُرِّي (ت. 1076هـ).
- أبو عبدالله محمد بن عبدالله الشُّوسِي المراكشي (ت. 1079هـ).
- أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدَّرْعِي (ت. 1085هـ).

المطلب الخامس: تلامذته (1)

نظرا لسعة علم المرغتي، وتبحره في الفنون، التفتَّ حوله الطلبة للاستفادة منه، فأخذ عنه أعلام كثر، أمثال:

- أبو عبدالله محمد بن ناصر الدَّرْعِي (ت. 1085هـ).
- الحسين بن ناصر الدَّرْعِي (ت. 1091هـ).
- محمد المعطي بن عبدخالق الشَّرْقِي (ت. 1092هـ).
- أبو عبدالله محمد بن سليمان الرُّودَانِي (ت. 1094هـ).

(1) فهرس الفهارس 2/ 555. فهارس علماء المغرب 650. معلمة المغرب 21/ 7092.

• البرهان إبراهيم بن حسن الكوراني (ت. 1101هـ).

• أبو علي الحسن اليوسي (ت. 1102هـ).

• سعيد بن أبي القاسم العميري (ت. 1103هـ).

• حسن بن علي العجيمي (ت. 1113هـ).

• عبد الملك بن محمد التجموعي (ت. 1118هـ).

• أحمد بن عبد الحلي الحلبي (ت. 1120هـ).

• أبو إسحاق إبراهيم بن علي السباعي (ت. 1155هـ).

المطلب السادس: وفاته⁽¹⁾:

توفي بمراكش ليلة السبت السادس عشر من ربيع الثاني سنة 1089هـ / 1678م.

المطلب السابع: شهادات قيلت فيه

قال عنه أحمد بن عبد الحلي الحلبي في «شرح مناجاة البرناوي»: «كنت أجلس أمامه وقبالة وجهه، ولم أر منه شعرة تتحرك، ولا طرفة، وكنت أنظر إلى حَدَقَتِهِ ساكنة حتى كأنه ميّت، ولو فرض أن الأرض انقلبت بأهلها والسماء سقطت على الأرض لم تتحرك منه شعرة، حتى تطلع الشمس فيتحرك حينئذ، رأيت منه هذه الحالة سنة، وهي مُدَّة إقامتي بمراكش، وذلك لأنه كان يعبد الله بالفكرة، وأخذت عنه علوماً وأجازني في أربعة عشر علماً من العلوم الظاهرة الإسلامية⁽²⁾».

وقال عنه أيضاً تلميذه الشيخ محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي في ثَبَتِهِ «الموائد السنّية»: «مُتَّبِعٌ لِلسُّنَّةِ، مُجْتَنِبٌ لِلْبِدْعَةِ، مُنْفَرِّعٌ عَنْهَا غَايَةَ التَّنْفِيرِ، كَثِيرٌ الْمَحَبَّةِ لِلنَّبِيِّ

(1) موسوعة أعلام المغرب: نشر الثاني 4 / 1608. صفوة من انتشر 307. فهرس الفهارس 2 / 555.

العوائد المزرية 1 / 54. فهارس علماء المغرب 651. معلمة المغرب 21 / 7093. الأعلام 6 / 139.

(2) صفوة من انتشر 304. فهرس الفهارس 2 / 555.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد رأيتُه يغلبه الوجد في بعض الأحيان من ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرْتَعِدُ ويتغير لونه، وقد قالوا: من علامة محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَلَذَّذَ بِحُبِّهِ بذكره الشريف، وَيَطْرَبَ عند سماع اسمه المنيف⁽¹⁾.

وقال عنه محمد الصغير اليفرنى: (شيخ الإسلام، خاتمة المحدثين، سراج المريدين، كان إماماً في علوم الحديث والسيرة، له اليد الطولى في ذلك، وإليه المرجع فيما هنالك، مع المشاركة في العلوم الأخرى، والدين المتين، والورع التام، وكان محترماً معظماً عند الخاصة والعامة، لهم فيه اعتقاد عظيم)⁽²⁾.

وحلّه عبدالحى الكتّاني ب: (الإمام العلامة المعمر..⁽³⁾).

ووصفه إدريس بن الماحي القيّطوني ب: (الشيخ الصالح، العالم العلامة المشارك، المحقق المؤقت، المعدل الحيسوبي، الخطيب البليغ الأديب، المعمر، شيخ الإسلام، خاتمة المحدثين، سراج المريدين)⁽⁴⁾.

وقال الزركلي في الأعلام: (ميقاتي، من فضلاء المغرب... غني بالأدب والإنشاء، واستكتبه بعض أمراء الدولة السعدية مدة. وكانت له مشاركة في الطب فتصدر للعلاج، ثم تركه، وانقطع للعبادة والتأليف)⁽⁵⁾.

توالياه⁽⁶⁾:

لقد خلف المترجم رَحْمَةُ اللَّهِ آثاراً اسْتُحْسِنَتْ، منها:

(1) فهرس الفهارس 2 / 555.

(2) صفوة من انشر 304.

(3) فهرس الفهارس 2 / 554.

(4) معجم المطبوعات المغربية 178.

(5) الأعلام 6 / 140.

(6) معجم المطبوعات المغربية 178-179. الأعلام 6 / 140. فهارس علماء المغرب 650-651. العوائد المزنية 1 / 69-76.

- فهرسة اشتملت على فوائد وفتاوى. سماها: العوائد المُرّية بالموائد. طُبعت ضمن منشورات وزارة الأوقاف المغربية في ثلاثة أجزاء.
- المقنع في علم التوقيت وشهور العام وأيام السنين العربية والعجمية. طُبِع على الحجر بفاس.
- وشرحه: الممتع في شرح المقنع. طُبِع كذلك على الحجر بفاس.
- المطلع على مسائل المقنع في علم المواقيت. طُبِع أيضا على الحجر بفاس.
- تحفة المحتاج في حكم أكل الناس الدجاج. طُبِع على الحجر بفاس.
- مختصر المطلع على مسائل المقنع.
- الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنّية الصالحة.
- مختصر سيرة ابن سيد الناس اليعْمُري.
- نظم في الربع المُجيب.
- منظومة في الوَفَق المُخَمَّس الخالي الوسط.
- حواش على الألفية.
- المفيد في شرح أرجوزة ابن سعيد، وهو محمد بن سعيد العباسي.
- كتاب في المناسك.
- المستعان في أحكام الأذان.
- منظومة في التصوف.
- منظومة في الحج.
- فتاوى. وقد ذكر نماذج منها الدكتور الحسن العبّادي في كتابه: فقه النوازل في سوس .. قضايا وأعلام.

- ✽ كناشة وهي مجموعة تقايد أكثرها في الأدب.
- ✽ رسالة في النهي عن تصريف أسماء الله الحُسنى في الدنيويات.
- ✽ قصيدة في الجداول.
- ✽ مؤلف في التاريخ.
- ✽ لُغزٌ مشهور.
- ✽ مؤلف في إبطال السحر.
- ✽ اليهوداويون.
- ✽ جواب عن سؤال عن الصحابة الرجراجيين.

المبحث الثاني: الرجراجيون النسبة والرجال

ينتسبون إلى ركراكة -بالكاف المعقودة- أو رجراجة، من فروع قبيلة مَضْمُودة الأمازيغية الكبرى، استوطنت منطقة الشياظمة بإقليم الصَّويرة منذ ما قبل الإسلام إلى اليوم، واشتهرت عبر التاريخ الإسلامي بالطائفة الركراكية المنتسبة إلى سبعة رجال، المشهورين برحلتهم إلى مكة المكرمة فأسلموا على يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففازوا بشرف الصُّحبة - كما يُقال - ثم عادوا إلى بلدهم مشمرين عن ساعد الجد لنشر الإسلام والتصدي لأعدائه، يتوارث خلفهم عن الأسلاف هذه المهمة التي تختلف ظروفها وملابساتها من عصر إلى الآن.

وتروي بعض كتب التاريخ المغربية للمِرْعُتي واليُوسي والمختار الشُّوسي أن أصل طائفة رجراجة المشهورة بالصلاح والجهاد في سبيل نصره الدين من بَقِيَّة الحواريين المومنين بالمسيحية (الدوناتوسية)، انتقلوا من جزيرة الأندلس راكبين على سفينتهم حتى خرجوا بإقليم حَاحَة بمرسى (أكوز) وذلك قبل الإسلام عند مصب وادي تانسيفْت، وبنَّوا بها مسجدا لعبادة الله، يُسمَّى: مسجد الحواريين. وبالأمازيغية: تيمزكيدان حورن. وسكان المنطقة من المصامدة يتبركون بهم ويعظمونهم واختلطوا

معهم بالمصاهرة والتناسل، وكانوا يحفظون عن أسلافهم أَنَّ نَبِيًّا سَيُبعَثُ، فَبَقُوا يترصدون مبعثه، وحين بلغهم نبأ مبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هبوا لتلبية دعوته فجمعوا رؤساء المغرب، وساروا في وفد عظيم تحت رئاسة سبعة رجال مشهورين إلى مكة.

إنَّ من الثابت تاريخيا هو أن منطقة حاحة وركراكة كانت منطلقا للدعوة الإسلامية بالمغرب، وظلت مركز إشعاع ديني، ورباطا للدفاع عن العقيدة الصحيحة في مواجهة البدع الضالة وبالأخص عند ظهور برغواطة بتامسنا، وظل السادة الركراكيون متصفين بالخير والدين والصلاح والاستقامة.. والاجتهاد في الأعمال الصالحة، وتعمير المساجد، وإطعام ابن السبيل والضعيف وذوي الحاجة، والإقبال على تعاطي المكرمات، وهذا ما جعلهم مُعْظَمِينَ محترمين لدى جيرانهم من قبائل الشياظمة وحاحة وغيرهم من المغاربة المواطنين على زيارة السادات سبعة رجال، والاجتماع للدوران على أضرحتهم وزواياهم خلال فصل الربيع من كُلِّ سنة، وهم:

✽ سيدي واسمين في ظرف جبل الحديد بالشياظمة.

✽ سيدي عبدالله أدناس على طريق وادي تانسيفت.

✽ سيدي عيسى بوخابية بوادي تانسيفت.

✽ سيدي يعلى بن واطل في آمسكن.

✽ سيدي سعيد بن يلقى غرب وادي شوشوا (شيشاوة).

✽ سيدي أبو بكر اشماس باقرمود.

✽ سيدي صالح بن أبي بكر اشماس باقرمود نفسه⁽¹⁾.

والتسمية تنحدر من الجذر الأمازيغي «رك»، وتعني: البركة، وله علاقة بـ: «كراك»، وتعني: الشرف أو البركة، كما ينحدر من فعل «أرك»، ومعناه «بارك»، ومنه «تاركت»،

(1) معلمة المغرب - مادة ركراكة. 4417 / 13.

وتعني في الأمازيغية «الهدية أو موكب التبرك»، كما يشتق منها «أركراك» وهو المتبرك به، وجمعه: أركراكن، وهو اسم القبيلة، وهو أيضا الفقير والصوفي، وقيل كذلك: إن اسم «رجراجة» مأخوذ من اسم أمازيغي هو «أرجراج» المشتق من «أروجروج»، ويعني: ترديد الصوت في الحنجرة. كما تعني «أرجراج»: الطالب المسافر، وتفيد أيضا العصا، وكان الفقراء يحملونها في سياحتهم⁽¹⁾.

هذا من جهة أصل الكلمة، أما من جهة سبب التسمية، فله ثلاثة تفسيرات، كلها ترجع في سياقها إلى زيارتهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽²⁾:

التفسير الأول: يذكر مؤلف مجهول في كتابه «العيون المرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الركراكية»، أن أهل رجراجة، لما سمعوا بمبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، قاموا وجمعوا الرواكب من هذا المغرب... وزاروه بعدد كثير لا يحصي عَدَّهُمْ إِلَّا اللَّهُ، فلما دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ وصاروا بين جبالها ورفعوا أصواتهم بالذِّكْرِ، وترجرج (اهتز ورج وزلزل)، وسمع أهل مكة بذلك، فعظم عندهم الترجرج، فمن أجل ذلك سمو رجراجة⁽³⁾.

التفسير الثاني: ورد في وثيقة اطلَّع عليها العلامة المختار السوسي وأثبتها في معسوله، مضمونها: أن الرجراجيون قصدوا رسول الله بعد الجهر بدعوته إلى الإسلام، و«لما أشرفوا على وادي مكة، وأعلنوا كلمة التوحيد، دخلوا بين الجبلين، وهم يَرْتَمُونَ بهذا النَّشِيد:

بسم الله يا الله	يا رحمن يا رحيم
لا إله إلا الله	محمد رسول الله

(1) أضواء على شرفاء رجراجة 12-13.

(2) المرجع السابق 13-14.

(3) حول رجالات رجراجة وعلاقتهم بصوفية مراکش 160.

فاستجابت لهم شعاب الوادي بالأصداء، فقال أهل مكة ما هذه الرَّجْرَجَة، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هؤلاء الرَّجْرَجِيُّونَ جاءوا مسلمين، ومن هناك اتصل بهم هذا الاسم»⁽¹⁾.

التفسير الثالث: أورده صاحب «السيف المسلول»، وفيه يذكر، أن سبب تسميتهم رجراجة، أنهم كانوا حين قدموا مكة، أعزّها الله، رفعوا أصواتهم بذكر الله، يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، قدمنا جاه النبي، ويكررونه، فتزحزح بذلك وادي مكة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبنته فاطمة: انظري ما هذا؟ فقالت له: صوت جيش قوم يترجرجون، فقال: سميتهم يا فاطمة. وهم رجراجة من باب تسمية الشيء بلفظه، وذلك من أعظم الأسماء⁽²⁾.

المبحث الثالث: المرغتي وإثبات الصُّحبة للرجراجيين في الميزان

إنّ الشيخ العالم أبا عبدالله محمد بن سعيد المرغتي - رَحِمَهُ اللَّهُ - حاول إثبات صحبة رجال رجراجة، عبر رسالته التي أجاب بها بعض طلابه، وقد اعتمد في ذلك على ثلاثة أمور:

الأول: التأدب مع الصالحين.

الثاني: لا يلزُم من عدم اطلاعك على موجب صحبتهم ألا يطَّلَعَ عليه غيرُك.

الثالث: الشهرة في بلاد المغرب.

مناقشة المعتمد الأول: التأدب مع الصالحين

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما ساداتنا السبعة الرجراجيين، الصحابة المرضيين، أفاض الله علينا وعليكم من بركاتهم شأبيها، وألبسنا وإياكم من أنوارهم جلابيها، فلا يُخْطَرُ لك ببال، في الحال والاستقبال، إنكار صحبتهم، وجحود مزيّتهم، بل تأدّب معهم تأدّب

(1) المعسول 7 / 4.

(2) السيف المسلول 28-29.

الشيوخ الصالحين قبلك، وحَسْبُكَ الاقتداء بهم، وأن تَصِلَ بهم حبلُك، ولا يَصُدُرُ منك سقوط حرمتهم، فإنَّها من حُرْمَةِ نبيهم ونبيك المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَسْبُكَ وكفى⁽¹⁾.

قلت: الأدب مع الصحابة واجب، بل مع من دونهم من الصالحين، لكن هذا لن يَكْفِنَا عن التحقيق في نسبتهم، وإثبات صُحبتهم، وهذا يَدِينُ العلماء والحفاظ، الذين دققوا في هذا الأمر، وقطعوا الشك باليقين في نفي الصحبة عمن لم تتحقق بهم النسبة، ودونك كتب الرجال عموماً، والكتب التي اهتمت بتراجم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصاً. بل نجد منهم من تُعَقَّب في حكمه وانتقَد، انظر مثلاً ما قاله الحافظ عن كتاب «أُسْدِ الغابة» لابن الأثير: (جمع فيه كثيراً من التصانيف المتقدمة، إلا أنه تبع من قبله، فخلط من ليس أصحابياً بهم، وأغفل كثيراً من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة في كتبهم، ثم جرد الأسماء التي في كتابه مع زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي، وعلم لمن ذُكر غَلَطاً، ولمن لا تصحُّ صحبته، ولم يستوعب ذلك ولا قارب. وقد وقع لي فيه بالتبع كثير من الأسماء التي ليست في كتابه، ولا أصله على شرطهما...)⁽²⁾.

وقد ذكر ابن حجر في كتابه الإصابة أحكاماً لابن مَنَدَه في نفي الصُّحبة عن بعض الرجال، فهل ابن مَنَدَه زاغ عن سَنَنِ الأدب؟؟

فإن قيل بأن كلام المرغني جاء في سياق التعليم والإرشاد، حتى لا يتجرأ الطلبة على القول بغير علم، قلت: نعم، لكن رغم ذلك، ففي باب العلم لا يكون أسلوب الإرشاد بفرض التسليم، ولنا أسوة بصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين منع بعض القبائل الزكاة بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بقتالهم خالفه عمر بن الخطاب، وحاججه، فحاجَّه أبو بكر وأقنعه، روى البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ

(1) جواب المرغني ق 1/ أ-ب. المعسول 4/ 13.

(2) الإصابة 1/ 9.

كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ⁽¹⁾.

مناقشة المعتمد الثاني: لا يلزم من عدم اطلاعك على موجب صحبتهم ألا يطلع عليه غيرك

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما قولك: لم يذكر أهل السير، ولا أهل الحديث أنه قد وفَدَ أحد من أهل المغرب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمردود عليك بأمور، منها: أن كتب السير أنافت على سبعين كتابا كلها من... فليت شعري كم رأيت منها، وكذلك كتب الحديث، ليت شعري كم قرأت منها، فهذا إمامنا مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «قال له هارون الرشيد: أريد أن أحمل الناس على الموطأ، فأبى مالك فقال: لا والله، دع الناس في سعة رحمة الله وتوسعة من دينهم، فكيف تحمل الناس على الموطأ، وقد خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة، فتفرقوا في الدنيا، وعند كل واحد منهم ما يحتمل ألا يكون عند جميعهم، أو عند جلهم، وقد سمع منهم الناس في أقطار الأرض ومشارقها ومغاربها، فلا تفعل، ودع الناس في سعة من دينهم، فإن اختلاف العلماء رحمة لهذه الأمة، فأمسك الرشيد عند ذلك عما عزم عليه». فأنت يا أخي اقتدِ بإمامك، واقتدِ بقوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽²⁾. وقوله: ﴿وَبَقِيَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾⁽³⁾. وَسَلِّمْ تَسْلَمٌ. ومنها -وهو راجع إلى ما ذكرنا-: أنه لا يلزم من عدم اطلاعك على موجب صحبتهم ألا يطلع عليه غيرك... ومنها: إذا فرضنا اطلاعك على

(1) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالسنة - باب الاقتداء بسنن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 2 / 360. رقم: 7284.

(2) سورة الإسراء: 85.

(3) سورة يوسف: 76.

جميع كتب السيرة، ولم تجد فيها ذلك أن تعلم أنهم فاتهم من علم السيرة شيء كثير، نقله غيرهم، وشاهد ذلك أن بعضهم يزيد على بعض، وينقل ما لم ينقله أحد منهم، وكم من مسألة في الحديث لم ينقلها أحد منهم، وكذلك العكس، وكم من علم عند الخاصة قد فات العامة، وكم من علم عند العامة قد فات الخاصة. انظر قصة ابن جريج التابعي رضي الله عنه حين قدم إلى المدينة فأدركته الصلاة في بعض شعابها فأراد السترة، فخط خطاً، فإذا خادم ترعى غنماً فصاحت عليه، وقالت: حدثني مولاتي، عن أمها، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخط باطل، الخط باطل، الخط باطل، فاسترجع، وقال: هذه خادم ترد عليك يا ابن جريج، فكيف بك إذا التقيت الأحرار، والعلماء الأخيار، فنقل ذلك عنه عن الخادم عن مولاتها عن أم سلمة فعمل بها الأئمة: مالك وغيره⁽¹⁾.

قلت: حقاً لا يلزم من عدم الاطلاع عدم الوجود، لكن الآن بعد أن جمعت الأحاديث، ودونت الدواوين، وأصبحت أمهات الكتب بين أيدي الناس، فلا يُعد مسوغاً في هذه القضية. وربما يكون هذا العذر سائغاً بالنسبة للمرغتي في وقته، لقلة الكتب، ونُدرة المصادر، وانقطاع سبل التواصل، أما الآن فلا.

وأما قصة الخادم مع ابن جريج، فأعياني البحث والتنقيب عنها في المصادر الأصلية المحتمل الورود فيها، فلم أظفر بشيء، ويشهد لذلك أن الإمام مالكا يقول في المدونة: الخط باطل⁽²⁾. ولم يستشهد هو أو غيره ممن نقل حكم الإمام في المسألة بقصة ابن جريج⁽³⁾، مما يجعلها مثارا للشك والريبة. إلا ما أورده ابن رشد في البيان والتحصيل بلفظ: وقد روي أن أمة بالمدينة نظرت إلى ابن جريج وقد خط خطاً يصلي إليه، فقالت: وا عجباً لهذا الشيخ وجهه بالسنة! فأشار إليها أن قفي، فلما قضى صلاته قال: ما

(1) جواب المرغتي ق 1/ب-2/أ. المعسول 4/13-14.

(2) المدونة الكبرى: كتاب الصلاة- في سترة الإمام في الصلاة. 202/1.

(3) انظر مثلاً: الذخيرة للقرافي: كتاب الصلاة. 2/154. ومواهب الجليل شرح مختصر خليل للحطاب وبهامشه التاج والإكليل لمختصر خليل للمواق 2/234.

رَأَيْتَ مِنْ جَهْلِي؟ قَالَتْ: لَأَنْتَ نَحْطُ خَطًّا تُصْلِي إِلَيْهِ، وَقَدْ حَدَّثَنِي مَوْلَاتِي عَنْ أُمِّهَا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْخَطَّ بَاطِلٌ، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَبَّرَ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ سَدَّتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (1).

وَيُلَاحِظُ أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ عَلَّقَ الْخَبَرَ (2) وَاکْتَفَى فِي حِكَايَتِهِ بِ: صِيغَةِ التَّمْرِضِ (رُؤْيٍ)، وَهَذَا مُؤْذَنٌ بِالضَّعْفِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ، خُصُوصًا عِنْدَ تَعَذُّرِ الْوُقُوفِ عَلَى السَّنَدِ. وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَخْشَى أَنْ يَنْطَبِقَ عَلَيْهِ، مَا حَكَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ: إِذَا رَأَيْتَ الْحَدِيثَ يُبَايِنُ الْمَعْقُولَ، أَوْ يُخَالِفُ الْمَنْقُولَ، أَوْ يُنَاقِضُ الْأَصُولَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُضَوِّعٌ. وَمَعْنَى مُنَاقِضَتِهِ لِلْأَصُولِ: أَنْ يَكُونَ خَارِجًا عَنْ دَوَاوِينِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَسَانِيدِ وَالْكَتُبِ الْمَشْهُورَةِ (3). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مناقشة المعتمد الثالث: الشهرة في بلاد المغرب

قال: (ومنها: أَنَّ صُحْبَتَهُمُ اشْتَهَرَتْ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ اشْتِهَارًا يَأْبَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ بَاطِلًا بَيْنَ الْخَوَاصِّ مِنْهُمْ وَالْعَوَامِّ). ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ مِنْ شُيُوخِهِ وَشُيُوخِ شُيُوخِهِ، وَاتَّبَعَهُمْ بَزِيَارَةِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُشْفِ وَالْخُصُوصِيَّةِ (4).

قلت: مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ هُنَا يُعَدُّ أَوَّلَ دَلِيلٍ اتَّكَأَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ مِنْ شُرُوطِ إِثْبَاتِ الصَّحْبَةِ كَمَا نَصَّ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الشَّهْرَةُ أَوْ الْاسْتِفَاضَةُ.

لَكِنَّ الْمُرْغَنِي رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُوقِّقْ فِي اعْتِمَادِ الدَّلِيلِ، لِأُمُورٍ، مِنْهَا:

أولاً: تَقْيِيدُهُ الشَّهْرَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ فَقَطْ، وَهَذَا التَّقْيِيدُ يَغُضُّ مِنْ قَدْرِ هَذَا الْمَعْتَمَدِ، لِأَنَّ وَفُودَهُمْ وَقَدُومَهُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ حَدَثًا بَارِزًا فِي الْمَدِينَةِ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ

(1) البيان والتحصيل 1 / 474.

(2) والتعليق عند المحدثين: إيراد الحديث أو الخبر دون سند.

(3) تدريب الراوي للسيوطي: النوع الحادي والعشرون: الموضوع. 151.

(4) جواب المرغني 2 / ب-3 / أ. المعسول 4 / 14-15.

أحدث رجرجة سُمعت وكانت سببا في تسميتهم، كيف يُنسَى هذا الحدث وتطويه السنون والأعوام. وينفرد المغاربة فقط بنقله وحفظه؟؟ فشأنه شأن حديث وَضَع الجَزِيَّة عن أهل خَيْبَرَ، الذي قال عنه ابن القَيْم في المنار المُنِيف: هذا مما تتوفرُ الهِمَم والدَّواعي على نقله، فكيف يكون قد وقع ولا يكون علمه عند حَمَلَةِ السُّنَّة من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، وينفرد بعلمه ونقله اليهود⁽¹⁾.

ثانيا: هذه الشُّهرة المقتصرة على بلاد المغرب، لم تُعرف إلا في عصور معينة فقط، كما يتضح من كلام المرغني، فإنه لم يذكر من باب الاستشهاد إلا ما عهده عن شيوخه وشيوخ شيوخه فقط، وهذا غير كاف في الاشتهار. لأنَّ الشُّهرة عند المحدثين ينبغي أن تنبع من أصل السَّنَد، ثم تَطَرُّد في طبقاته، لأن من كان غريبا في أصله ثم اشتهر في آخر طبقات السَّنَد لا يُعدَّ مشهورا، وإنما يكون في عداد الغرائب والأفراد⁽²⁾.

ثالثا: استشهاد بالكشف من أهل الصلاح في إثبات أمرٍ عِلْمِي، وهذا مردود لأنه ليس من الأدلة العلمية المعتمد عليها في الإثبات أو النفي؛ إذ كل علم أو فن له أصوله ودلائله التي يستند عليها في تحقيق المسائل، ليس للكشف عليها مدخل يُولَّج منه. ولنا في سيرة الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير مثال، من ذلك خبر الهجرة النبوية، وهي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أمره ربه ﷻ بالهجرة إلى المدينة المنورة، اتخذ دليلا خبيرا بالمسالك والطرق، وهو عبدالله بن أُريقط اللَّيْثِي⁽³⁾، ولم يعتمد على الكشف، بل الوحي الإلهي، مع العلم أنه رسول ينزل عليه الوحي من السماء، ومُحاط بالعناية الربانية، لكن رغم ذلك التجأ إلى الأسباب لِيُعَلِّمَنَا أَنَّ الأمور الدنيوية ينبغي أن نعتد فيها على الدلائل المادية المعقولة..

(1) المنار المنيف في الصحيح والضعيف 93.

(2) انظر كتب مصطلح الحديث مثل: مقدمة ابن الصلاح 159-160. وفتح المغيبي للسخاوي 2/38-

45.

(3) مستدرك الحاكم - كتاب الهجرة. رقم: 4331. 9/3.

خاتمة

وبهذا نكون قد ناقشنا حُجج الشيخ المرغُتي حول إثبات صُحبة رجال رجراجة، التي لم تُكُنْ سوى من قبيل تقليد الشيوخ فيما عَهِدُوهُ، دون توثيق أو حُجَّة، علماً أن شروط إثبات الصحبة واضحة، ولم تتوفر في هذه المسألة. والنصوص المعتمدة لا تعدو روايات شفهية مُقطَّعة الأوصال، ورسوما متأخرة التأريخ، وقد أوردها المختار السُّوسي في المعسول، وقال عنها: (ذلك ملخص صفحات صارت إلَيَّ، وهي مُشوَّهة العبارة، مُمسُوخة الخطّ، فكأنها تستمد الألفاظ والخط والعبارة من هذه الحكاية التي هي كلها أمشاج أخلاط، إِفْكٌ على إِفْك، فَإِنَّ كَوْنَ الرجراجيين من الصحابة مردود عند المحقِّقين ولا يقول به إلا من لا يُمَعِنُ النَّظَرَ، والعجيب أن من يقول بذلك الشيخ المرغُتي وليس ذلك بشيء، وأستحضر أننا مرة في الدَّرس في مجلس شيخنا أبي شعيب الدُّكَّالي الصِّديكي - بالكاف المعقودة - رَحِمَهُ اللهُ، جرى ذِكْرُ صُحْبَتِهِمْ، فَرَدَّهُ شيخنا، فقليل له: إن الحَفَّاجِي في شرحه على الشِّفاء، يقول ذلك، وساق في معرض أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم بلغات شتى تلك المكاملة المتقدمة بينه وبين الرجراجيين، فتبسم شيخنا فقال: إِنَّا الحَفَّاجِي نَقَالَ، وهذا لا نُنْكِرُ أَنَّهُ مذكور، لكننا نقول إنه باطل مكذوب، ثم قال: لو كان الحَفَّاجِي الأديب المُطَّلِع أتم الاطلاع على الآداب وما إليها من العربية، مقتصرًا على التغزل والتشبيب بالقُدود والخُدود، والجولان بين الغُصون والوُرود، لكان ذلك به أولى، وإلا فإن الحديث لا يكفي فيه النَّقْلُ حتَّى يكون ذَوْقُهُ مُتَرَبِّيًا في الإنسان⁽¹⁾.

والحمد لله رب العالمين

(1) المعسول 4/ 10-11.

جريدة المصادر والمراجع

- (1) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. تح: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. وجماعة من الباحثين. مركز هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية - القاهرة. ط 1/2008.
- (2) أضواء على شرفاء رجراجة ودورهم المشهور، لكريدية إبراهيم. Safi graphe آسفي. ط 1/2012.
- (3) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لابن رشد القرطبي. تح: محمد حجي وآخرين. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط 2/1988.
- (4) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للسيوطي. تح: صلاح بن محمد بن عويضة. دار الكتب العلمية - بيروت. ط 1/1996.
- (5) الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري. تح: محب الدين الخطيب - فؤاد عبد الباقي - قصي فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية - القاهرة. ط 1/1400.
- (6) الذخيرة، لأحمد بن إدريس القرافي. تح: محمد حجي - سعيد أعراب - محمد بوخبزة. دار الغرب الإسلامي - بيروت. ط 1/1994.
- (7) السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول، لعبدالله بن محمد بن البشير الرجراجي. مطبوعات معهد الشعبي الإسلامي بمدينة الصويرة. شركة الطبع والنشر الدار البيضاء. ط 1/1986.

- (8) الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسين - ندوة علمية من منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية للعلماء. دار الأمان للنشر والتوزيع - الرباط. ط1/2010.
- (9) العوائد المزرية بالموائد، لمحمد بن سعيد المرغتي. تح: محمد العربي اشرفي. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط. ط1/2007.
- (10) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي. دراسة وتحقيق: عبدالكريم بن عبدالله الخضير - محمد بن عبدالله آل فهد. مكتبة دار المنهاج - الرياض. ط1/1426.
- (11) فهارس علماء المغرب، لعبدالله المرابط الترغي. مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء. ط1/1999.
- (12) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، لعبدالحكي الكتاني. تح: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي - بيروت. ط2/1982.
- (13) المدونة الكبرى، للإمام مالك رواية سحنون بن سعيد التناوخي عن ابن القاسم. دار الكتب العلمية - بيروت. ط1/1994.
- (14) المستدرک على الصحيحين، للحاكم النيسابوري. دار الحرمين - مصر. ط1/1997.
- (15) معجم المطبوعات المغربية، لإدريس بن الماحي القيطوني. مطابع سلا. سلا. ط1/1988.
- (16) المعسول، للمختار السوسي. مطبعة فضالة - المحمدية ط1/1960.
- (17) معلمة المغرب لجماعة من الباحثين بإشراف: محمد حجي. مطابع سلا. سلا. ط1/2001.
- (18) مقدمة ابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المسماة ب: علوم الحديث. مكتبة الفارابي - العين. ط1/1984.

- (19) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية. تح: يحيى بن عبدالله الثمالي. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة. ط1/1428.
- (20) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، للحطاب وبهامشه التاج والإكليل لمختصر خليل للمواق. اعتناء: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية - بيروت. ط1/1995.
- (21) موسوعة أعلام المغرب. تنسيق وتحقيق: محمد حجي. دار الغرب الإسلامي - بيروت. ط2/2008.